صانع الذهب

محمود سالم

صانع الذهب

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

صانع الذهب

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٦٦١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رجل واحد ... يحكم العالم!	١١
«معمل» ... كانت هذه كل الرسائل!	١٧
مَن الذي يكسب ... في لعبة الذكاء!	٢٣
لقاء في مطعم الآن؟	٢٩
الصراع حول «صانع الذهب»!	٣٥
الحقيقة التي أخفاها الشياطين!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رجل واحد ... يحكم العالم!

جلس «أحمد» يقرأ تقريرًا طويلًا، قبل أن يتوجَّه للاجتماع الذي أعلن عنه رقم «صفر» منذ أمس؛ فقد طلب الزعيم أن يكون الشياطين على استعداد للاجتماع، لكنه لم يَدْعُهم؛ ولذلك فقد أحسوا أن هناك عمليةً كبيرة، وأن التقارير لم تَصِل بعدُ إلى درجة الاكتمال، حتى يقدِّم لهم رقم «صفر» كلَّ البيانات ... والمعلومات المطلوبة.

ولم يكن التقرير الذي يقرؤه «أحمد» من اختياره؛ فقد طلب منه الزعيم أن يقرأه حتى يكون على إلمام تام بخطورة المهمة التي سوف يخرج إليها، هو والشياطين.

كان التقرير يتحدث عن الذهب، وكانت أحدث المعلومات التي ضمَّها التقرير هو ذلك الارتفاع المفاجئ في سعر الذهب في العالم ... من ٤٣٢ دولارًا للأوقية ... إلى ٨٥٠ دولارًا للأوقية. فكَّر قليلًا وهو يقول لنفسه: كم من آلاف الملايين يمكن أن يكسبها تاجرٌ واحد، إذا كان ارتفاع الأوقية يقفز ٤١٨ دولارًا مرة واحدة!

وضَع إصبعَه على بعض الأرقام التي يحتوي عليها التقرير: استخرج الإنسان من باطن الأرض ٨٨ ألف طن من الذهب. الاتحاد السوفييتي يملك «٢٥٠٠» طن ذهب. جنوب أفريقيا هي أكبر مصدِّر للذهب في العالم، وهو يمثِّل نصفَ صادراتها؛ ولذلك يُسمونها «كنز العالم».

شرد قليلًا وهو يُعيد في ذاكرته الأرقامَ التي تُشير إلى ارتفاع سعر الذهب، ثم عاد للتقرير مرة أخرى ليقرأ: انخفض سعر الذهب في خلال أسبوع واحد انخفاضًا ضخمًا، جعل كثيرين من التجار يُشهرون إفلاسهم!

توقَّف «أحمد» عند هذه المعلومة وهو يقول: لا بد أن هناك مَن يلعب لعبة ضخمة على مستوى العالمِ كلِّه، يرفع الذهب إلى حوالي الضعف، ثم ينزل به مرة واحدة خلال أسبوع. من الضروري أن يكون هناك مَن يريدون تحطيمه، أو مَن يريدون تحطيم التجار

... فكَّر: إن الاحتكارات العالمية يمكن أن تفعل كلَّ هذه الأشياء، إنها يمكن أن ترفع سعره وتخفضه ... ولكن الغريب أن تقضيَ على مَن يقف أمامها!

مرَّت لحظات ... وهو مستغرق في تفكيره، ثم عاد إلى التقرير مرة أخرى. فجأةً توقَّف عند فقرة معينة؛ فقد كانت غريبة، كانت تقول: إن العالِم الروسي «شولوف» قد توصَّل إلى التركيب العضوي للذهب، وإنه قد دخل مرحلة تجارب لصنع الذهب، وإنه إذا توصَّل إلى ذلك ... فإن الاتحاد السوفييتي يستطيع أن يتحكَّم في سوق الذهب بما يطرحه من كميات البيع.

أعاد «أحمد» قراءة الفقرة مرة ثانية، وثالثة. لقد كانت فعلًا غريبة عليه؛ فلأول مرة يقرأ عن إمكانية صناعة الذهب. توقَّف لحظةً يفكِّر: إن اليابان استطاعت أن تصنع اللؤلؤ الصناعي، الشبيه باللؤلؤ الطبيعي تمامًا. لكنه قال في نفسه: إنه لؤلؤ مزيف. وهناك فارق بين تزييف الذهب ... وصناعته. مرة أخرى فكَّر: لقد توصلوا لتركيب الماس، لكن يظل الماس الحقيقي هو الأصل، وهو الأغلى ثمنًا!

ظل «أحمد» يستعيد في ذاكرته ما قرأه من محاولات لصناعة الأشياء الثمينة، فهم مثلًا يربُّون اللؤلؤ في أحواض خاصة، وكانوا قديمًا يصطادونه، وعن طريق تربيته أصبحوا يتحكَّمون في سوقه.

مرة أخرى، عاد إلى التقرير الذي كان يقول: إن العالِم الروسي «شولوف» كان له تلميذٌ يُدعى «برجسكي»، غير أن هذا التلميذ اختفى دون أن يعرف أحدٌ عنه شيئًا، وكان هذا التلميذ يعرف أسرار «شولوف». وقد توقَّع كثيرون أن يكون قد قُضيَ عليه، أو أن عصابة قد اختطفَته، وربما يكون خلاف قد نشب بينه وبين أستاذه ... فتخلص منه، لكن كل هذه تكهنات. المؤكد فقط أن «برجسكي» قد اختفى من الاتحاد السوفييتي نهائيًّا.

شرَد «أحمد» يفكر في «برجسكي» الذي اختفى، وبدأ يضع احتمالاتٍ لاختفائه، غير أن يكون قد قُضيَ عليه. فكَّر: قد تكون إحدى العصابات قد خطفته! وقد يكون تجار الذهب الكبار قد قضَوا عليه! أو قد تكون جنوب أفريقيا ... لأنه بصناعة الذهب يمكن أن يؤثِّر على ما تصدِّره للعالم.

قال في نفسه: هذه كلها احتمالات، يمكن أن تكون صحيحة، لكن ... ما الذي حدث؟ وما الذي سوف تكون عليه المغامرة الجديدة؟ وهل هي خاصة به، أو أنها ستكون حول اكتشاف مَن يتحكمون في أسعار الذهب العالمي؟ كانت الأفكار تتردد في خاطره دون أن تقف عند خاطر معين. فجأةً، لمَعت شاشة التليفزيون أمامه، وظهرت عليها كلماتٌ تقول: الاجتماع بعد عشر دقائق.

قال في نفسه: يبدو أن تقارير العملاء قد اكتملت، وأن المغامرة قد بدأت!

وضع التقرير في درج مكتبه، ثم أخذ طريقه إلى قاعة الاجتماعات. في الطريق كان الشياطين يتوافدون ... الواحد بعد الآخر على القاعة، كان الشياطين كعادتهم يمرحون وهم في طريقهم إلى الاجتماع؛ لأنهم يعرفون أنهم مُقدِمون على مغامرة جديدة، وهذه أطيب الأوقات بالنسبة لهم؛ فهم يعتبرون المغامرة إجازة ممتازة، في الوقت الذي يشعرون فيه بالضيق ... إذا تأخرت المغامرات.

أخذوا أماكنهم في القاعة الفسيحة، كان كلُّ شيء هادئًا تمامًا، ولم تكن الخريطة الإليكترونية مضاءة؛ ولذلك فلم يكن يلفت نظرَهم شيء، إلا «أحمد» الذي كان يحاول أن يكون عاديًّا، لكن تفكيره العميق فيما قرأ في التقرير كان يظهر على وجهه، حتى إن «مصباح» قال: يبدو أن «أحمد» يُخفي أنباءً طيبة!

ابتسم «أحمد»، وعلَّق «بو عمير»: إن «أحمد» سبقنا في أنه يستنتج نوعية المغامرة قبل القيام بها!

فجأةً، قطع تعليقاتِهم صوتُ رقم «صفر» يقول: هذا صحيح، وسوف يُحدِّثكم الآن عن المغامرة الجديدة حتى آتيَ إليكم، وحتى لا نضيعَ وقتًا!

علَت الدهشةُ وجوهَ الشياطين، لكنهم بسرعة التفتوا إلى «أحمد» في انتظار أن يتحدث.

مرَّت لحظات قطعَها «مصباح»: ألم أُقل لكم إن «أحمد» يُخفي أنباءً طيبة!

قالت «زبيدة»: نرجو ألَّا يتأخر علينا!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: قد تبدو المغامرة عادية؛ فقد حققنا أكثر من مغامرة من هذا النوع، لكن مغامرة اليوم فيها جانب جديد، ومثير تمامًا ... سكت لحظةً جعلت الشياطين يهتمُّون أكثر، ثم أضاف: أنتم تعرفون أن الشخصيات الهامة تتعرض دائمًا للاعتداء، إما بالخطف أو غيره ... كما حدث لنا في مغامرة «مدينة البراكين»، والتي استعدنا فيها الباحثين المعروفين، هذه المرة توجد شخصية مثيرة جدًّا، وليست موجودة!

ارتسمت الدهشة على وجوه الشياطين، ودارت برءوسهم الأسئلة: كيف تكون الشخصية مثيرة، وكيف تكون غير موجودة في نفس الوقت؟

قال «أحمد»: قد تبدو المسألة كاللغز، وهي بالفعل لغز حقيقي. إننا نعرف أن الذهب يُستخرج من باطن الأرض، وأنه من أندر المعادن النفيسة، كما أن الذهب يُعتبر هو الرصيد الاقتصادي لأي بلد، وتبعًا لكمية الذهب الموجودة في بلد ما، تكون ثروته، ويكون غناه أو فقره، بل إن الذهب هو الذي يحدِّد قيمة الأشياء؛ فإذا ارتفع سعر الذهب ... ارتفعت

أسعار الأشياء، وإذا هبط سعره ... هبطت أسعار الأشياء الأخرى؛ لهذا يمثِّل الذهب أهمية خاصة عند كل دولة.

كان ما يقوله «أحمد» ليس جديدًا على الشياطين، ولكنه قاله فقط ... حتى يمهِّد لما سيقول ... ولذلك سكت لحظة، ثم قال: ولأن الذهب له هذه الأهمية، فقد اهتمت روسيا التي تملك منه ٢٥٠٠ طن بمحاولة صناعته!

توقَّف لحظة، ونظر إلى وجوه الشياطين ليرى تأثير ما قاله عليهم، لكن لم يكن هناك أيُّ تأثير. قال: الذي أقصده ليس تصنيعَ الذهب في شكل خواتم أو أساور أو غيرها. الذي أقصده هو صنع الذهب نفسه؛ فبدلًا من البحث عنه في باطن الأرض، وقد يكون موجودًا ... أو غير موجود، فإن الاتحاد السوفييتي يحاول أن يَصِل إلى تركيبته العنصرية؛ حتى يمكنَه صنْعه في المعامل.

سكت في الوقت الذي ظهرت فيه الدهشة على وجوه الشياطين، حتى إن «إلهام» تساءلت: وهل يمكن ذلك؟

أجاب: نعم. لقد توصَّل عالم سوفييتي اسمه «شولوف» إلى التركيبة العنصرية للذهب!

تلاقَت أعين الشياطين، في الوقت الذي استمر فيه «أحمد» يشرح لهم ما قرأه في التقرير عن تلميذه «برجسكي» ... واختفائه، وما يمكن أن يحدث لو ظهر هذا التلميذ، واحتمالات أسباب اختفاء «برجسكي».

وعندما توقَّف عن الكلام، قالت «زبيدة»: من الممكن أن تكون عصابة مثل «سادة العالم» قد خطفته.

وقال «خالد»: من الممكن أن يكون «شولوف» قد تخلص منه؛ خوفًا من أن ينافسه في صناعة الذهب.

كان «أحمد» يستمع إليهم ... وعلى وجهه ابتسامة هادئة؛ فكل ما طرحوه من احتمالات، قد فكر فيه. قطع حديثَهم صوتُ الزعيم رقم «صفر» يقول: كل هذا جائز، لكن هناك شيء جديد ظهر، حملَته لنا التقارير التي وصلَت إلينا الآن، إنني في الطريق إليكم!

تعلَّقت أعينُ الشياطين بمكان رقم «صفر». كان صوتُ أقدامه يتردَّد مقتربًا، حتى توقَّف. رحَّب بهم، ثم قال: لقد شرح لكم «أحمد» كلَّ شيء عن «صانع الذهب»، أو التلميذ الذي اختفى، لكن التقارير التي وصلتنا أخيرًا ... أضافت شيئًا هامًّا ... إن «برجسكي» تلميذ «شولوف» قد ظهر في مدينة «هيوستن» الأمريكية ...

سكت رقم «صفر» قليلًا، في الوقت الذي كان الشياطين يركزون انتباههم في انتظار ما سوف يُضيفه.

مرَّت لحظات ثقيلة قبل أن يقول: لقد انفجر معمل صغير في مدينة «هيوستن» لكميائي اسمه «جولد ميكر» ... علَت الدهشةُ وجوهَ الشياطين، لكن دهشتهم لم تستمر؛ فقد حلَّت مكانَ الدهشة ابتسامةٌ ذكية. إن اسم «جولد ميكر» يعني «صانع الذهب»؛ إنه هو نفسه إذَن.

قال رقم «صفر»: لقد فهمتم تمامًا. إن «جولد ميكر» لم يُبلغ الشرطة بانفجار معمله، لكن الجيران استغاثوا بالشرطة التي حضرت إلى المكان ... لتُحقِّق فيما حدث. ورفض «جولد ميكر» أن يُضيف شيئًا، سوى أن ما حدث شيءٌ عادي، يمكن أن يحدث في أي معمل، غير أن عميلنا هناك كان يتتبع قصة اختفاء «برجسكي»، فبدأ بالتحدث حول هذه الشخصية الجديدة «جولد ميكر»، وتأكَّد أنه هو نفسه «برجسكي»، لكنه لا يريد أن يُعلن عن نفسه.

صمت رقم «صفر»، وظل الشياطين ينتظرون ما سوف يقوله. فالآن بدأَت أبعاد المغامرة تظهر أمامهم. قال بعد لحظة: إن «برجسكي»، أو «جولد ميكر» لا يزال يعمل في أبحاثه لتحضير الذهب في معمله، لكن المعمل قد انتهى الآن ... وهذا يعني أنه سوف يحاول مرة أخرى؛ لأن وصوله إلى صناعة الذهب يعني أنه سوف يكون أغنى رجل في العالم، بل إنه سوف يكون حاكم العالم كله؛ لأنه هو الذي سوف يتحكم في سوق الذهب العالمي، لكن هل يمكن أن يظل «برجسكي» في أمان؟ سكت، بينما جاء صوت الأوراق التي يقلِّبها، وأضاف بعد لحظة: إن تقارير العملاء تقول إن هناك خطة لاختطاف «برجسكي»!

فجأة، تردَّد صوت متقطع، جعل رقم «صفر» يقول: هناك أخبار جديدة ... وأخذ صوت أقدامه يبتعد، في نفس الوقت الذي قال فيه «قيس»: إن «برجسكي» شخصية مثيرة فعلًا، ولعلها أول مرة نسمع فيها عن شخصية لها هذه الخطورة. إنه رجل يمكن أن يحكم العالم!

قال «رشيد»: لا تنسَ أن أستاذه لا يزال موجودًا في الاتحاد السوفييتي، وهذا يجعل المنافسة بينهما قوية.

قال «خالد»: أظن أن الاتحاد السوفييتي لن يترك «برجسكي»، وأن الانفجار الذي حدث في معمله، كان مقصودًا به «برجسكي» نفسه، حتى ينتهوا منه وألا يكون هناك سوى «شولوف» فقط، هو وحده الذي يعرف سرَّ صناعة الذهب.

قال «أحمد»: ينبغي أن نعرف أن «برجسكي» سوف يكون هدفًا لأكثر من اتجاه. هناك تجار الذهب، الذين يملكون منه الكثير، و«برجسكي» يمكن أن يجعلهم فقراءَ بين يوم وليلة، إذا استطاع أن يُغرق السوق بكميات ذهب من صناعته، وهناك الاتحاد السوفييتي أيضًا، وهناك أمريكا التي ستحاول أن تضمَّه إليها، وهناك جنوب أفريقيا، التي تعتبر أكبر دولة موردة للذهب في العالم ... ثم ... هناك أيضًا العصابات التي ترى في «برجسكي» كنزها الجديد ...

عندما توقَّف «أحمد» عن الكلام، كانت أقدام رقم «صفر» تقترب حتى توقَّفَت، ثم قال بعد لحظة: لقد انتهى «شولوف»، نتيجة إصابته بأزمة قلبية؛ فهو رجل متقدم في السن.

سكت لحظة، ثم أضاف: إن هذا يجعل من «برجسكي» أو «جولد ميكر» أهمَّ رجل في العالم؛ لأنه الوحيد الذي يعرف سرَّ صناعة الذهب ... أضاف بعد قليل: لقد سمعتُ ما قاله «أحمد» منذ دقائق وهو صحيح كله. إن التقارير أمامي تقول إن هناك صراعًا قويًّا بين جهات كثيرة حول «برجسكي»، من بينها عصابة «سادة العالم»، وعصابة «اليد الذهبية». إن «برجسكي» الآن يعتبر أهمَّ عالم في القرن العشرين، ومغامرتكم الجديدة هي «برجسكي» نفسه. إن عليكم أن تحموه حتى ننقله إلى مكان مأمون، حتى يستطيع أن يُكملَ أبحاثه، ولا تنسَوا أن الصراع سيكون بين جهات كثيرة وقوية.

سكت لحظة، ثم أضاف: إن مجموعة الشياطين التي ستقوم بالمغامرة سوف يزداد عددها نتيجة قوة الصراع، إن الوقت هامٌّ الآن بعد رحيل «شولوف»، وعليكم أن تتحركوا. إن التعليمات سوف تكون عندكم، بينما أنتم تُجهزون أنفسكم. سكت لحظة، ثم سأل: هل من سؤال؟

ولمَّا لم يسأل أحد قال: أتمنى لكم التوفيق!

أخذت أقدامه تبتعد، في الوقت الذي كان الشياطين يغادرون فيه القاعة إلى حجراتهم ... وعندما دخل «أحمد» حجرته، كانت شاشة التليفزيون تحمل أسماءَ مجموعة المغامرة؛ كانت تضم: «أحمد»، «عثمان»، «قيس»، «رشيد»، «بو عمير»، «خالد»، «إلهام». قرأ «أحمد» الأسماء، وقال في نفسه: إنها أكبر مغامرة يدخلها الشياطين هذه المرة.

«معمل» ... كانت هذه كل الرسائل!

أخرج «أحمد» خريطة للولايات المتحدة الأمريكية ... ليحدد مكان مدينة «هيوستن». إن المدينة تقع في ولاية «تكساس»، يحدُّ الولاية من الشرق ولاية «لويزيانا»، ومن الشمال «أوكلاهوما»، ومن الغرب «نيومكسيكو»، ومن الجنوب «المكسيك»، وهي تقع قريبة من خليج «المكسيك»، كما أنها قريبة جدًّا من نهر «برازوس».

ظل يرصد الأماكن التي يمكن أن يختفيَ فيها «برجسكي»؛ فهو يمكن أن يختفيَ عن طريق خليج «المكسيك»، ويمكن أن ينقل من ولاية إلى ولاية أخرى. وهذه كلها تحتاج إلى احتياطات أمن. ظل يتأمل الخريطة قليلًا، وكأنه يطبعها في ذاكرته. بعد لحظة فكر ألَم تعرف أمريكا أن فوق أرضها يعيش أهم رجل في العالم؟!

لكنه لم يستمرَّ في طرح الأسئلة؛ فقد تذكَّر أن عنصر الوقت في منتهى الأهمية؛ ولذلك أعدَّ حقيبته السرية بسرعة، ثم أخذ طريقه إلى الخارج. كان الشياطين ينتظرونه في جراج السيارات. أسرع إليهم، وألقى نفسه بسرعة داخل السيارة المجهزة. في دقائق، كانت تقطع الطريق خارج المقر السري. كان «أحمد» قد فكر، هل الأصلح أن يصلوا «هيوستن» نهارًا، أم ليلًا؟ ...

إن الخطة التي يجب تنفيذها هي الوصول إلى «جولد ميكر» أو «صانع الذهب»، أو «برجسكي». إنهم فقط الذين يعرفون الحقيقة، وإن كان انفجار المعمل يشير إلى أن هناك أطرافًا أخرى تعرف أيضًا. قال «أحمد» في نفسه: إن الوصول نهارًا سوف يكون في صالح الشياطين؛ فهم يستطيعون أن يتبيَّنوا مكان «برجسكي» ويستطيعون أن يضعوا خطتهم على أرض الواقع. ولذلك قال فجأة: إننا نستطيع أن ننزل أولًا في «نيو أورليانز» على شاطئ خليج «المكسيك»، ثم نأخذ الطيران الداخلي إلى «هيوستن». إن ذلك يجعلنا نبدو في حالة سفر عادية.

قالت: «إلهام»: ولماذا نضيع الوقت؟

رد «أحمد»: إننا نريد أن نَصِل إلى المكان في وقت ملائم، والنهار أكثر ملاءمة لنا ...

اتفق الشياطين على ذلك، وعندما كانت السيارة تقف أمام المطار، كانت تذاكر السفر مع أحد عملاء رقم «صفر»، ولم تمضِ ساعة حتى كانت الطائرة المتجهة إلى أمريكا تشقُّ الفضاءَ في الطريق إلى حيث يعيش «صانع الذهب».

لم يكن الشياطين في حاجة إلى تنفيذ قاعدتهم الدائمة: «السفر خير طريق لجمع المعلومات»؛ فهم يعرفون جيدًا أن ما سوف يعرفونه لن يُفيد كثيرًا في هذه الحالة، فهم يقصدون مكانًا محددًا، وشخصًا معينًا، وعلاوة على ذلك لن يكون لهم حاجة عند أحد.

عندما انقضت نصفُ ساعة بعد غروب الشمس، كان صوت مذيعة الطائرة يطلب من الركاب أن يربطوا الأحزمة؛ لأن الطائرة سوف تنزل في مطار «نيويورك». وعندما نزلوا، كان عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى إلى «نيو أورليانز». وعندما وصلوا إلى المدينة، كانت ساعات أخرى قد انقضت. غادروا الطائرة في مطار «نيو أورليانز». كانت رائحة الخليج تملأ أنوفهم، حتى إن «رشيد» قال: إن هذه الرائحة تذكِّرني برائحة مدينة الإسكندرية ...

رد «أحمد»: إن كل مدن الساحل لها رائحة البحر. عندما خرجوا من المطار، كانت سيارتهم في انتظارهم. وما إن أغلق آخرُهم بابَها حتى جاء صوت عميل رقم «صفر» يرحِّب بهم، ثم قال: إنكم تنزلون في فندق الشاطئ.

سكت لحظة، ثم قال: هل هناك تعليمات أخرى؟ قال «أحمد»: سوف نرحل في الصباح الباكر إلى «هيوستن»!

قال «العميل»: سوف تكون التذاكر في انتظاركم. إن أول طائرة تطير إلى هناك تقوم في الساعة الثامنة ...

كان «عثمان» يقود السيارة تبعًا للبوصلة التي كانت موجهةً إلى فندق «الشاطئ»، وعندما وصلوا إلى هناك كانت رائحة الخليج النفاذة تملأ أنوفهم. وقفوا قليلًا يتشمَّمون رائحة الخليج الممزوجة باليود والملح، ثم أخذوا طريقهم إلى الداخل. كانت ردهة الفندق الضخم هادئة تمامًا. أسرع «قيس» فأحضر المفاتيح، ثم أخذوا طريقهم إلى حجراتهم التي كانت تقع في الطابق العشرين. تبادلوا التحية، ثم انصرفوا إلى حجراتهم ليستغرقوا في النوم.

ألقى «أحمد» نفسه على السرير يفكر، لكنه قال في نفسه: ينبغي أن أنام فورًا حتى أصحوَ مبكرًا، وحتى أنال قسطًا وافرًا من النوم. ورغم أنه لم يكن في حالة نوم كعادته مع كل مغامرة، إلا أنه ظل يُجري بعضَ التمارين النفسية حتى استغرق في النوم.

في الخامسة صباحًا قفز «أحمد» من السرير في نشاط، ورفع سماعة التليفون، وأدار رقم ٨١٤. كان الرقم يعني حجرة «إلهام».

قال «أحمد»: ينبغي أن نجتمع في حجرتي.

في دقائق كان الشياطين يجتمعون في حجرة «أحمد». قامت «إلهام» بإعداد الإفطار؛ حيث كانت الثلاجة في حجرة «أحمد» عامرة بالمربى والجبن والخبز.

أخذوا يتناولون الساندويتشات التي جهَّزَتها «إلهام». في الساعة السادسة والنصف بدأت حركتهم. غادروا الفندق إلى السيارة ثم استقلوها في اتجاه المطار، وخلال نصف ساعة كانوا هناك. كان المطار نشيطًا؛ فقد كان المسافرون إلى شتى الاتجاهات يجرُّون حقائبهم، أو يشترون بعض ما يحتاجونه. اشترى «خالد» صُحُف الصباح، ثم أعطى الشياطين بعضها، وأخذ يقرأ. كانت لا تزال هناك ساعة حتى يحين موعد إقلاع الطائرة.

قال «رشيد»: سوف أتجول قليلًا داخل المطار.

ألقى «أحمد» نظرةً في نفس الاتجاه الذي اتجه إليه «رشيد». كان الزحام شديدًا عند الصالة «ج» حيث اتجه «رشيد»، إلا أن بعض الركاب كانوا يقفون في جانب منعزل. تفحص «أحمد» هؤلاء الركاب، كانوا ثلاثة يلبسون جميعًا نظارات سوداء، وتبدو عليهم الأهمية والغموض أيضًا. قال في نفسه: هل يمكن أن يكون هؤلاء على صلةٍ بالمغامرة؟

إلا أنه لم يقطع بشيء. ظلت عيناه تراقب حركة «رشيد» الذي اقترب منهم بطريقة عادية، وكأنه كان يفكر في نفس الشيء. قال في نفسه: لعل «رشيد» يعثر على معلومات معينة؛ فنحن سوف نتعامل مع جهات لا نعرفها. ومَن يدري قد يكون هؤلاء منهم.

كان الشياطين مستغرقين في قراءة الصحف، فألقى عليهم نظرَه، ثم ابتسم، وهو يقول لنفسه: إنهم جميعًا يعرفون الاتجاه الصحيح، ولا يشغلون أنفسهم بشيء إضافي ... مرَّ الوقت ثم قطع ضجيجَ الصالة الواسعة صوتُ المذيعة يقول: على الركاب المسافرين إلى «هيوستن»، أن يتوجهوا إلى الصالة «ن»!

كان هذا يعني أن عليهم أن يتوجهوا فورًا إلى هناك ... إلا أن «رشيد»، كان لا يزال يقف قريبًا من الرجال الثلاثة، وقد وضع جهازًا صغيرًا يُشبه الراديو على أُذُنه. ابتسم «أحمد» وقال: إنه يحاول أن يستمع إليهم دون أن يلفت نظرهم!

فجأة تحرك الرجال الثلاثة في نفس الوقت الذي تحرك فيه الشياطين. كان الجميع يتجهون إلى الصالة «ن»، وكان «رشيد» يمشي ببطء حتى يظل قريبًا من الرجال؛ فهذه المسافة نفسها هي المجال الذي يعمل فيه الجهاز. تجمَّع الركاب المتجهون إلى «هيوستن»

في الصالة «ن». ظل «رشيد» في حالة المراقبة، في نفس الوقت الذي كان فيه الشياطين يرقبونه في هدوء. جاء صوت المذيعة يطلب من الركاب التوجُّهَ للطائرة.

تحرَّك الشياطين دون أن ينتظروا «رشيد»؛ فقد تركوه في مهمة المراقبة للرجال الثلاثة، لكنهم عندما صعدوا السلَّم، ألقى «أحمد» نظرةً سريعة ليرى الرجال، وليرى «رشيد» أيضًا. كان الرجال يصعدون السلَّم وراءَ بعضهم، وخلفهم كان «رشيد» مباشرة، إلا أنه كان قد أخفى الجهاز.

في الطائرة جاء مقعد «رشيد» أيضًا قريبًا من الرجال. نظر إلى الشياطين وابتسم؛ فقد لعبت الصدفة لعبة طيبة في صالحه. بعد قليل كانت الطائرة تشقُّ الفضاءَ في طريقها إلى «هيوستن». كان «أحمد» يفكر: هل توصَّل «رشيد» إلى شيء حتى إنه لا يزال مستمرًّا في المراقبة؟ بعد لحظة أرسل رسالة شفرية إليه. كانت الرسالة: «٢٧ – ٢٣» وقفة «٢٧ – ٢٥– ١– ٢١» وقفة «٥– ٨ – ٢٩ – ٨» انتهى …

تلقَّى «رشيد» الرسالة، وكانت ترجمتها: هل هناك جديد؟ بعد قليل جاء الرد: «٢٤ – ١٨ – ٢٤ – ٢٣» انتهى! … فَهِم «أحمد» مضمون هذه الرسالة التي كانت من كلمة واحدة هي: «معمل».

فكر «أحمد»: إن معمل تعني أن هؤلاء الرجال لهم علاقة بحادث انفجار معمل «برجسكي» الذي يُجري فيه تجاربه، ويعني أيضًا أنهم ينتمون إلى جهة ما!

كانت رسالة «رشيد» شديدة الأهمية بالنسبة لمغامرة الشياطين. إنها تعني أن الشياطين سوف يعرفون إحدى الجهات التي تعمل للحصول على «برجسكي» أو الخلاص منه، غير أنه فكر في نفس الوقت: إن الكلمة قد تعني شيئًا آخر، فربما لا يكون هؤلاء الرجال على علاقة بأي جهة، وأن المعمل الذي تحدثوا عنه معملٌ آخر غير معمل «برجسكي». توقَّف لحظة عن التفكير. سألته «إلهام»: هل توصَّل «رشيد» إلى شيء؟

نقل لها رسالة «رشيد»، فظهرت الدهشة الممزوجة بالابتسام على وجهها، إلا أنها بسرعة أنهت دهشتها وهي تقول: ربما لا يكون نفس المعمل!

ابتسم «أحمد» وهو يهمس: ربما.

عندما انتهى من كلامه شعر بدفء جهاز الاستقبال الذي يحمله في جيبه الداخلي؛ فعرف أن هناك رسالة. أخذ يستقبلها حتى انتهت، ثم بدأ في ترجمتها. كانت الرسالة: «١٣٢» وقفة «١٣ – ١ – ١٠ – ١٨» وقفة «١٤» وقفة «٨ – ٢٦ – ١٠» وقفة «١ – ٢٦ – ٢٣» انتهى. وكان مضمونها ١٣٢ شارع ١٤ دور أول.

تذكَّر «أحمد» عنوان «برجسكي» كما جاء في تقرير رقم «صفر»، ولم يكن هو نفس العنوان؛ فعنوان «برجسكي» هو: «٩٩ شارع ١٠٠٨ دور ١٢». وهذا يعني أنه ربما يكون عنوان الجهة التي يعملون معها ... وربما شيء آخر غير هذا كله. قطع تفكيرَ «أحمد» صوتُ مذيعة الطائرة يُعلن أن الطائرة تقترب من مطار «هيوستن» وأن على الركاب أن يربطوا الأحزمة. نفذ الشياطين التعليمات، إلا أن «أحمد» كان مشغولًا بهؤلاء الرجال. كان يفكر: هل يستمر «رشيد» في مراقبتهم بعد مغادرة الطائرة، وحتى هذا العنوان، أو ينبغي أن يتركهم ليقوموا بعد ذلك بمهمتهم؟

لم يأخذ قرارًا نهائيًّا؛ فقد فكر في نفس الوقت أن يُرسل رسالة بهذا المعنى إلى «رشيد»؛ فهو الذي يستطيع أن يحدد تبعًا للموقف. أرسل رسالة فعلًا، وبعد قليل جاءه الرد يقول: إن الموقف غامض تمامًا، لكنه يرى أن المراقبة ينبغي أن تستمر.

أرسل «أحمد» رسائل سريعة إلى بقية الشياطين الذين كانوا يجلسون في أماكن متباعدة، وانتظر الرد حتى يتخذ قرارًا أخيرًا. في لحظات كانت ردود الشياطين تتوالى، وكانت جميعها تقول: إن المراقبة يجب أن تستمر. وعلى ذلك اتخذ «أحمد» قراره أن يقوم «رشيد» و«إلهام» بمتابعة الرجال الثلاثة.

أرسل رسالة إلى «رشيد» بهذا المعنى، ثم أخبر «إلهام»، وعندما كانت الطائرة تأخذ طريقها إلى أرض المطار، كان الشياطين قد استعدوا لمغادرة أماكنهم، وانضمت «إلهام» إلى «رشيد»، في الوقت الذي انفصل الشياطين عنهم في طريقهم إلى السيارة التي كانت في انتظارهم خارج المطار.

مَن الذي يكسب ... في لعبة الذكاء!

عندما أغلق باب السيارة جاءهم صوتُ عميل رقم «صفر» يرحب بهم، ويحدد لهم الفندق الذي سينزلون فيه، وهو فندق «هوليداي إن هيوستن». في نفس الوقت قال: إن هناك رسالة من رقم «صفر» في انتظارهم، وحدد المكان والزمان الذي سيلتقي فيه مع أحد الشياطين لتسلُّمِ الرسالة.

كان «قيس» يقود السيارة في الطريق إلى فندق «هوليداي إن». وفي خلال نصف ساعة كانوا يدخلون الفندق. نظر «أحمد» في ساعة يده. كان لا يزال هناك وقتٌ طويل حتى يحين موعد عميل رقم «صفر»؛ ولذلك فقد اتجه الشياطين مباشرة إلى حجراتهم. بعد دقائق كانوا يعقدون اجتماعًا في حجرة «أحمد»، الذي قال: نحن في حاجة الآن لمعرفة مكان «برجسكي»، وذلك يتطلب منَّا أن ننقسم إلى مجموعتين، كل مجموعة تجري رؤيتها حول المكان. سوف أكون أنا و«عثمان» في مكان، و«قيس» و«بو عمير» و«خالد» في المكان المقابل، ولاحِظوا أن هناك عيونًا كثيرة ترقب المكان، ونحن لا نريد أن نبدأ الصدام مبكرًا. إننا نريد أولًا أن نحدد الجهات التي سوف تحدِّد حركتَنا، وربما يكون «رشيد» و«إلهام» قد توصَّلَا إلى شيء. وفي هذه الحالة سوف نكون قد اختصرنا الوقت؛ لأننا عرفنا جهة منهم ...

صمت قليلًا، فقال «عثمان»: ربما لا تكون جهة ما خلف انفجار المعمل، فربما يكون الانفجار عاديًّا. وحسب تقرير رقم «صفر» الذي قرأناه فإن «برجسكي» رفض أن يتَّهم أحدًا.

أجاب «أحمد»: هذا صحيح، لكن لا تنسَ أن «برجسكي» لا يريد أن يكشف نفسه، فإذا أبلغ الشرطة واتَّهم إنسانًا ما؛ فقد يؤدي التحقيق إلى كشف السر في صناعة الذهب. أضاف بعد لحظة: إن الوقت لا يزال مبكرًا؛ فالساعة لم تتجاوز الحادية عشرة، ونحن الآن نستطيع أن نبدأ تحرُّكَنا.

سكت لحظة، ثم قال: سوف يتحرك «خالد» في الواحدة إلى النقطة «س» التي حدَّدها عميل رقم «صفر» لتسلُّم الرسالة: إذا كانت تحتاج إلى التصرف بسرعة فعليك أن تتحدث إليَّ فورًا، وإذا كان يمكن تأجيلها لبعض الوقت، فسوف نعرف جميعًا عندما نجتمع هنا مرة أخرى!

في دقائق كان الشياطين يغادرون الفندق بعد أن أعطى «أحمد» لـ «خالد» عنوان «برجسكي»: شارع ٩٩، رقم ١٠٠٨ الدور١٢.

في الشارع مضى كلٌّ فريق إلى اتجاه.

قال «أحمد» لـ «عثمان»: إنني أفكر في الحديث إلى «برجسكي» تليفونيًّا ...

سكت لحظة، ثم أضاف: إن «برجسكي» سوف يكون خائفًا الآن؛ فهو يعرف أنه معرَّض للضياع في أي لحظة؛ فإما أن يكون قد غيَّر مكانه، وفي هذه الحالة سوف يكون بحثُنا ضائعًا، وإذا لم يكن فعل، وكان موجودًا في مكانه، فإنني سوف أعرض عليه أن نقوم بحراسته.

قال «عثمان» على الفور: إن ذلك يجعلنا هدفًا لأي جهة، وعملنا في الخفاء أهم!

قال «أحمد»: فلنجرب لنرى إن كان «برجسكي» مستعدًّا أم لا؟

اتجه الاثنان إلى السيارة. وما إن جلسَا فيها حتى جاء صوت عميل رقم «صفر» يقول: إنني تحت أمركم!

قال «أحمد»: نريد تليفون السيد «برجسكي»!

صمت العميل لحظة، ثم قال: سأتصل بكم بعد قليل!

انطلق «عثمان» بالسيارة إلى «٩٩ رقم ١٠٠٨» حيث يوجد «برجسكي». كانت حركة الشوارع نشيطة في هذا الوقت من النهار. فجأة، دق جرس تليفون السيارة، وكان المتحدث عميل رقم «صفر» الذي قال: رقم السيد «برجسكي» هو ٥٢٩٤٣٣٨، ثم وضع السماعة ...

كرر «أحمد» الرقم أمام «عثمان» الذي ابتسم قائلًا: سبعة أرقام!

قال «أحمد» بطريقة عادية: إن بعضَ دولِنا العربية تصل أرقام تليفوناتها إلى سبعة أرقام أيضًا، برغم فارق التعداد بين أمريكا والدول العربية!

أُغلقت الإشارة فتوقَّفت العربات. فجأة، لمح «أحمد» «رشيد» و«إلهام».

فكر: لماذا هما هنا، وهل يوجد الرجال الثلاثة في هذه المنطقة؟

لفت نظر «عثمان» إلى ذلك، ثم قال: هل نستدعيهما؟

قال «عثمان»: من المؤكد أن يكون تواجدهما هنا لسبب ضروري!

فتحت الإشارة، فتحركت العربات، وتحرك «عثمان» أيضًا.

قرأ «أحمد» أرقام الشوارع التي كانت تتوالى، ثم قال: يبدو أنه شارع عرضي ... سكت لحظة ثم قال: تمهَّل هنا ...

أوقف «عثمان» السيارة، فرفع «أحمد» سماعة التليفون، ثم أدار القرص، وطلب رقم «برجسكي». رن التليفون في الطرف الآخر فترة، حتى إن «أحمد» ظن أنه لا يوجد أحد، غير أنه لم يضع السماعة. بعد قليل جاء صوت يقول: لا تضع السماعة؛ إن «برجسكي» في الخارج وسوف يتأخر لبعض الوقت، إذا كان هناك شيء ما، فاترك رسالة. شكرًا!

عرف «أحمد» أن هذا جهاز السكرتيرة الذي يسجل المكالمات في حالة عدم وجود صاحب البيت. فكر لحظة، ثم قال: تحياتي إلى السيد «برجسكي». هناك مسألة خاصة بالذهب سوف أُعيد الاتصال به. شكرًا! ثم وضع السماعة.

قال «عثمان»: أليست هذه مخاطرة أن تذكر علاقة الذهب به؟

قال «أحمد» بعد لحظة: لقد قصدت ذلك أولًا: حتى يهتم. ثانيًا: حتى يكون لديه معلومات عن أننا نعرف أهميته!

هزَّ «عثمان» رأسه مقتنعًا، ثم انطلق بالسيارة من جديد، ظهر شارع ٩٩. تمهَّل «عثمان» قليلًا، وهو يقول: أعتقد أننا ينبغي أن نترك السيارة لنرصد المكان جيدًا!

قال «أحمد»: هذا صحيح. فلنبحث عن مكان قريب لانتظار السيارات.

ما إن ابتعدَا عن العنوان قليلًا حتى ظهر أمامهما مكان لانتظار السيارات. ابتسم «عثمان» قائلًا: حظ جيد أن يكون مكان الانتظار قريبًا من بيت السيد «برجسكي»!

ابتسم «أحمد» ولم يعلق. في المكان المحدد أوقف السيارة، ثم نزل «أحمد» وتَبِعه «عثمان». وما إن أغلق السيارة حتى اتجهَا سيرًا على الأقدام إلى حيث يوجد رقم ١٠٠٨. كان الشارع هادئًا، ولم يكن بيت «برجسكي» مختلفًا عن بقية البيوت الأخرى.

اتجهَا مباشرة إلى البيت، ودخلاه. صعدَا بالمصعد إلى الطابق الثاني عشر. كان الطابق يضم أربع شقق، ولم يكن يظهر على أي باب ما يشير إلى ساكِنِيه. وقف الاثنان لحظة. تحرك «أحمد» مقتربًا من أحد الأبواب، ثم بدأ يتشمَّمه. ابتسم «عثمان»؛ فهو يعرف أن «أحمد» الآن يبحث عن رائحة مميزة. ترك «أحمد» الباب الأول، ثم اتجه إلى الثاني. فجأة فُتِح الباب، وظهر فيه رجل ضخم الجسم، قال بصوت أجش: ماذا تفعل؟ فوجئ «أحمد» بالرجل، لكنه تمالَك نفسه وقال: إننا نبحث عن شقة «روبرت جالي»!

نظر له الرجل لحظة، ثم قال: في أيِّ طابق هو؟

قال «أحمد»: في الطابق الثالث عشر.

غير أن الرجل قال بسرعة: هل تعرفان السيد «روبرت جالي»؟

قال «أحمد» بطريقة عادية: بالتأكيد.

الرجل: ماذا يعمل؟

أحمد: إنه بائع للأحجار الثمينة، وربما يعمل في الذهب أيضًا!

ظهرت الدهشة على وجه «عثمان»؛ إن هذا يعني أن الرجل سوف يشكُّ فيهما.

الرجل: ماذا تريدان منه؟

ابتسم «أحمد» وقال: إننا نريده شخصيًّا!

الرجل: أتريدان شراءَ ذهب؟

أحمد: ليس بالضبط. نريد بعض المصنوعات الثمينة!

ألقى الرجل عليهما نظرةً متشككة، ثم قال وهو يُغلق الباب: لا أظن أن هناك ساكنًا هنا له هذا الاسم!

كاد «أحمد» أن يغرق في الضحك، إلا أنه تمالَك نفسه؛ فقد عرف أنه يتعامل مع رجل غبي، أو مع عصابة غبية. تحرَّك إلى السلم، فتبعه «عثمان». وعندما أصبحَا في الطابق الثالث عشر ضغط «أحمد» زرًّا، فجاء المصعد وركباه، ثم نزلَا. وعندما أصبحَا في الشارع، همس «أحمد» لـ «عثمان»: هل عرفته؟

ابتسم «عثمان» قائلًا: نعم، إنه أحد أفراد العصابة الأغبياء، أو أحد المراقبين الأغبياء أيضًا.

ضحك «أحمد» قائلًا: لقد كشف الرجل عن نفسه لاهتمامه بالسؤال؛ ولهذا قصدت أن أذكر له كلمة الذهب حتى أعرف مدى تأثيرها عليه، ومدى اهتمامه بها!

سكت لحظة، ثم قال: إن شقة «برجسكي» واحدة من الشقتَين اللتين تُقابلان شقة هذا الغبي، ويبدو أن هذه الشقة مجهَّزة لمراقبة «برجسكي»!

صمت قليلًا، ثم قال متسائلًا: وإلا فكيف رآنا؟

دارَا حول المبنى الضخم الذي يسكنه «برجسكي». كانت حديقة صغيرة تقع خلف المبنى، فوقفَا يتأملانه. كان يرتفع إلى عشرين طابقًا، ويرتفع وحده بين كل المباني حوله.

همس «أحمد»: نحتاج لرحلة إلى أعلى المبنى!

نظر له «عثمان» نظرة متسائلة، فقال: مَن يدري، قد نحتاج سطح المبنى يومًا!

سأل «عثمان»: هل نفعل ذلك الآن؟

قال «أحمد»: نعم، إننا ينبغي أن نكون مستعدين لشتى الاحتمالات.

وفي هدوء، تقدمَا مرة أخرى من باب المبنى، ثم اختفيَا داخله، وهمس «عثمان»: المؤكد أننا مراقبان الآن؛ فالغبي سوف تكون عيناه علينا سواء دخلنا أو خرجنا!

قال «أحمد»: لا بأس، إن ذلك قد يكشف لنا أشياءَ كثيرة.

تقدمَا من المصعد ثم دخلاه، وضغط «أحمد» الزر رقم ٢٠. ارتفع المصعد بسرعة حتى توقَّف عند الطابق الأخير. نزلَا بسرعة، لم يكن هناك سلَّمٌ يوصل إلى السطح، وظلَّا يفحصان المكان جيدًا، ليريَا إن كانت هناك وسيلة ما، غير أنه لم تكن هناك أيُّ وسيلة.

قال «عثمان»: إن الحل الوحيد هو إحدى الشقق في هذا الطابق، فعن طريق إحدى النوافذ يمكن الوصول إلى السطح.

لم يردَّ «أحمد» مباشرة، لكنه قال بعد قليل: هذا صحيح. لكن، كيف يمكن دخول إحدى هذه الشقق؟

هتف «عثمان»: فتحات التهوية!

في لحظة كان «أحمد» يقف أمام إحدى الفتحات، ثم نظر إلى الخارج قائلًا: هذه فكرة طيبة خصوصًا وأن الفتحات تُطلُّ كلها على الحديقة!

وفي لمح البصر كان يُخرج من حقيبته السحرية حبلًا متينًا ينتهي بخطاف. وفي براعة أدار الحبل عدة مرات في الهواء، ثم قذف به في قوة إلى أعلى، فاشتبك بإحدى المواسير التي تظهر نهايتُها فوق السطح. وفي رشاقة تسلَّق الحائط حتى أصبح خارج فتحة التهوية، وبسرعة كان يأخذ طريقه إلى السطح. كان «عثمان» يقف مراقبًا المكان، ومراقبًا في نفس الوقت حركة «أحمد» الذي استقر فوق السطح. أسرع «أحمد» يعاين السطح بسرعة، كانت مساحة كافية تمامًا لما فكر فيه. دار دورة كاملة فوق السطح، حتى تأكد تمامًا من كل ما يريده. وبسرعة عاد إلى الحبل، فنزل في رشاقة من خلال فتحة التهوية، إلى حيث يقف «عثمان». وفي سرعة أيضًا تحرَّك الاثنان إلى مكان المصعد، الذي لم يكن موجودًا، ضغط «عثمان» الزر، إلا أن المصعد كان في طريقه فعلًا إليهم. وعندما توقَّف في الطابق العشرين، خرج منه رجل وزوجته، ألقيَا عليهما نظرة سريعة، ثم اتجهَا إلى شقتهما، في الوقت الذي دخل فيه الاثنان المصعد، فنزلَا إلى الطابق الأرضي. وعندما خرجَا منه، كان الرجل الذي حاور «أحمد» يقف في انتظار المصعد، نظر إليهما، ثم قال: أمَا زلتما هنا؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: يبدو أن هناك خطأ ما، فلم نجد السيد «روبرت جالي».

قال الرجل: لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم!

انتظر لحظة ثم سأل: هل يكون اسمه «جولد ميكر»؟

أبدى «أحمد» دهشته، ثم قال بعد لحظة: وهل هو يصنع أشياءَ ثمينة؟

قال الرجل: سمعت شيئًا بهذا المعنى!

ابتسم أحمد قائلًا: وهل يسكن في نفس الطابق؟

رد الرجل: ربما!

شكره «أحمد» وقال: سوف تكون هذه خدمة طيبة، إذا تمكنَّا من مقابلته!

إلا أن الرجل قال: عليكما بالبحث عنه، ثم أغلق المصعد، واختفى!

وقال «عثمان»: هذا الرجل يبدو أنه يلعب معنا لعبة ذكاء.

رد «أحمد»: لا بأس، إنها في صالحنا.

وعندما استدارَا للانصراف، توقَّفَا في دهشة؛ فقد وقعت أعينهما على شيء لم يكن يخطر لهما على بال.

لقاء في مطعم الآن؟

لقد كان «برجسكي» نفسه، كما يظهر في الصورة التي يحملها «أحمد» والتي يعرفها كل الشياطين. نظر لهما الرجل بشك، ثم أسرع إلى مصعد آخر، واختفى داخله، وكاد «أحمد» يتحرك خلفه، إلا أنه لم يفعل. وفي سرعة غادرَا المبنى.

همس «عثمان»: كانت هذه فرصة لنتحدث إليه!

قال «أحمد»: فعلًا لكنها فرصة محفوفة بالمخاطر، فمن يدري، ربما يكون مراقبًا الآن، فنكشف أنفسنا!

وصلَا السيارة، وعندما استقرَّا داخلها، رفع «أحمد» سماعة التليفون، وأدار رقم «برجسكي». انتظر لحظة، فقد كان الجرس يدق في الطرف الآخر. بعد لحظة، جاءه صوتُ السكرتيرة الآلية يقول: لا تضع السماعة، إن «برجسكي» في الخارج، وسوف يتأخر بعض الوقت، إذا كان هناك شيء ما فاترك رسالة شكرًا.

ثم أُغلِق التليفون في الطرف الآخر. وضع «أحمد» السماعة، فسأله «عثمان»: أنت لم تتحدث إليه!

قال «أحمد» بعد قليل: مسألة غريبة. لماذا لم يرد «برجسكي»، مع أنه صَعِد أمامنا؟

سال «عثمان»: لعلها السكرتيرة الآلية هي التي ردَّت؟

قال «أحمد»: نعم. إنها هي!

فكر قليلًا، ثم قال: هل تعرَّض «برجسكي» إلى موقف ما؟

أضاف بعد قليل: أو لعله جانبٌ من الحذر!

قال «عثمان»: هل تعني أن رجل الشقة المقابلة قد اتخذ خطوة في اتجاه «برجسكي»؟

رد «أحمد» شاردًا: مَن يدري؟

مرَّت دقائق، كان الاثنان صامتَين تمامًا. فجأة، مد «أحمد» يده إلى السماعة، وهو يقول: سوف أحاول مرة أخرى.

أدار رقم «برجسكي»، ثم انتظر. مرت لحظات، كان الجرس خلالها يدق هناك. فجأة، رُفِعت السماعة وجاء صوت «برجسكي»: «برجسكي» يتحدث. مَن المتكلم؟

قال «أحمد»: نحن نعرف أنك تتعرض هذه الأيام لمحاولات ما، بسبب الذهب. إننا نعرض عليك خدماتنا!

مرت لحظة، لم يردَّ فيها «برجسكي»، ثم قال في هدوء: مَن المتكلم؟

رد «أحمد»: ليس مهمًّا أن تعرف الآن، فنحن نتبع جهة ما، تحاول المحافظة عليك!

برجسكي: لماذا؟

أحمد: لأنك تحمل سرًّا ثمينًا.

«برجسكي» بعد لحظة: أيُّ سرٍّ؟

أحمد: سرُّ الذهب!

برجسكي: أنا لا أفهم بالضبط ماذا تريد؟

أحمد: أنا فقط أعرض خدماتي، وإذا كنت تريد مزيدًا من التفاصيل، فلنتقابل في مطعم «الآن».

برجسكي: الآن ... أنا لا أستطيع أن أخرج الآن!

«أحمد» مبتسمًا: أقصد في المطعم المعروف باسم «الآن»!

صمت «برجسكي» لحظة، ثم قال: أظن أنك أخطأت الشخص أو التليفون، لعله إنسان آخر!

أحمد: سوف نكون في المطعم في الخامسة تمامًا أرجو أن نلقاك، وسوف أعرفك عندما تدخل! وُضِعت السماعة في الطرف الآخر، دون أن يقول «برجسكي» شيئًا. نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: إن «خالد» في الطريق إلى النقطة «س» الآن!

ثم وضع السماعة، نظر إلى «عثمان»، ثم قال: هيَّا بنا، ينبغي أن نتحرك الآن إلى الفندق ...

تحرَّك «عثمان» منطلقًا بالسيارة إلى فندق «هولياداي إن هيوستن». قال وهو ينظر أمامه: إن «رشيد» لم يتصل بنا، لعله لم يتوصل إلى شيء هو و«إلهام»!

قال «أحمد» شاردًا: مَن يدري؟

وصلَا الفندق، فغادرَا السيارة إلى القاعة الفسيحة في المدخل. كان بعض النزلاء هناك. ألقى نظرة سريعة على المكان، ثم أخذ جانبًا وجلس، فجلس «عثمان» بجواره. كان «أحمد»

يفكر: هل يمكن أن يأتيَ «برجسكي» إلى المطعم «الآن»، أو أنه سوف يتشكك فيما أخبرته به؟

نظر «عثمان» إليه مبتسمًا وقال: أظن أنه سوف يفكر طويلًا قبل أن يتخذ قراره، فهو يعرف أن عيونًا كثيرة حوله، غير أنه لا يعرفها مواجهةً، وربما يظن أننا واحدة من هذه الجهات!

قال «أحمد» ببطء: هذا صحيح. وهذه هي المشكلة.

فجأة، ظهر «خالد» و«بو عمير» و«قيس». نظر «أحمد» في وجوههم، حتى يستشفَّ شيئًا، قبل أن يتسلم الرسالة. وعندما جلسوا، قال «خالد»: إنها معلومات إضافية.

ثم قدَّم الرسالة إلى «أحمد» الذي قرأها بسرعة. كانت الرسالة تقول: إن «برجسكي» لا يملك من الدنيا شيئًا إلا رأسه، التي تحمل سرَّ الذهب، وهو لا يستطيع أن يحقق ما فيها، إلا بعد أن يُنشئَ معملًا، وسوف يتعرض لمساومات كثيرة، لكنه سوف ينكر علاقته بأي شيء، حتى بالذهب، لكنه في نفس الوقت سوف يحاول الحصول على المال من أجل تحقيق هدفه. إن إقناع «برجسكي» بمصاحبتكم سوف يكون خطوة هامة، فإذا لم تستطيعوا ذلك، فإن خطفه مسألة ضرورية!

ابتسم «أحمد»، لقد فكر في ذلك فعلًا؛ ولهذا صعد إلى سطح المبنى. كانت أعين الشياطين تتابع وجه «أحمد» وهو يقرأ الرسالة، وعندما ابتسم سأله «خالد»: هل هناك جديد؟

قال مبتسمًا: لأول مرة يقوم الشياطين بخطف إنسان بدلًا من إنقاذه!

قال «بو عمير»: إننا ننقذه في نفس الوقت!

قال «أحمد»: هذا صحيح. لكنه اختطاف أيضًا؛ فلو أنه استغاث مثلًا، فإننا نكون في حالة ارتكاب جريمة اختطاف!

ضحك الشياطين لهذه المناقشة، وسأل «قيس»: إن «رشيد» قد اختفى، فلا توجد أنباء عنه!

وقبل أن ينطق أحد بكلمة، كان «رشيد» و«إلهام» يدخلان من باب الفندق. ابتسم «عثمان» وقال: لقد أفرجوا عنهما.

انضم «رشيد» و«إلهام» إلى الشياطين، في الوقت الذي كان «أحمد» ينتظر حديثه. مرت لحظات صامتة، ثم قال «رشيد»: إنها مطاردة القرن العشرين!

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين، في الوقت الذي ابتسم فيه «أحمد». قال «رشيد»: لعلك خمنت ما سأقوله!

ابتسم «أحمد» قائلًا: يبدو هذا على وجهك. أي نوع من المعامل توصلت إليه؟

ضحك الشياطين، فقالت «إلهام»: إنه معمل تقطير نوع معين من الروائح.

حكى «رشيد» مطاردته هو و«إلهام» للرجال الثلاثة، وكيف دخلوا من مكان إلى مكان وانتقلوا من سيارة إلى سيارة. وعندما وصلوا إلى هناك، كان قد اتفق هو و«إلهام» على دخول المعمل. قامت «إلهام» بتنفيذ المهمة، واكتشفت أنه ليس معمل الذهب.

قال «أحمد» لا بأس. إننا نقترب من اللحظات الحاسمة.

ثم قدم لـ «رشيد» و«إلهام» رسالة رقم «صفر». قرآها بسرعة، وقال «رشيد»: هذه مسألة هامة! حان وقت الغداء، فاتجهوا إلى مطعم الفندق، وعندما جلسوا ابتسم «عثمان» قائلًا: ينبغي ألا نأكل كثيرًا؛ لأننا قد نتناول الغداءَ مرة أخرى.

ظهرت الدهشة على وجه «إلهام» وقالت: مرة أخرى، أين؟

حكى «أحمد» لها ما حدث مع «برجسكي».

قال «رشيد» بسرعة: لقد حققتم خطوة هامة.

جاء الطعام فأكلوا على مهل. كان «أحمد» يريد أن ينقضيَ الوقت، حتى تحين الساعة الخامسة، وعندما انتهوا، انصرفوا مباشرة إلى حجرة «أحمد» حيث عقدوا اجتماعًا. قال «أحمد»: أنتم تعرفون أننا على موعد مع «برجسكي»، فإذا أتى، فإننا سوف نرتب كلَّ الأمور معه. وفي هذه الحالة سوف تنتهي مغامرتنا. فإذا لم يأتِ، فإننا سوف نعود لخطتنا الأصلية. صمت لحظة، ثم قال: سوف أذهب أنا و«عثمان»، وعليكم أن تكونوا على استعداد، فربما حدثت تطورات غير متوقعة، فأنتم تعرفون أننا قد نواجه صراعات متعددة.

مضى الوقت وهم في اجتماعهم يتحاورون، وعندما اقتربت الساعة من الرابعة والنصف، قام «أحمد» وعثمان، وانصرفا.

تحركت السيارة في طريقها إلى مطعم «الآن»، حيث كان محددًا موعد اللقاء مع «برجسكي»، وعندما وصلَا إلى هناك، كانت الساعة تشير إلى الخامسة إلا خمس دقائق، غادرَا السيارة بسرعة، واتجهَا إلى المطعم، عندما دخلاه، كان بعض الرواد يتناولون طعامهم، ولم يكن العدد كبيرًا. اختارَا منضدة في ركن مقابل للباب، حتى يروا الداخلين. نظر «أحمد» في ساعة يده، كانت تُعلن الخامسة بالضبط. قال «عثمان»: هل تظن أنه سوف يأتي؟

فكر «أحمد» لحظة، ثم قال: ربما!

اقترب منهم الجرسون، وقدَّم لهما قائمة الطعام. اختارَا بعض الأطعمة التي تحتاج إلى وقت؛ فمطعم «الآن» يقدم الوجبات التي تُطهَى وقت طلبها؛ ولذلك أُطلِق عليه اسم

«الآن» ... انصرف الجرسون، وتعلقت أعين الاثنين بالباب، فبين دقيقة وأخرى ربما يدخل «برجسكي». مرَّت خمس دقائق، ثم عشر، دون أن يظهر. ألقى «أحمد» نظرة متمهلة على رواد المطعم. كانت هناك مجموعة تتناول غذاءها، رجل وسيدة، وشابان معًا، ورجل يجلس بمفرده، كان يدخن بينما يوجد الطعام أمامه. عادت عينَا «أحمد» إلى الباب، لحظة، ثم دخل رجلان، وجلسَا في منتصف المطعم. لحظة أخرى، ودخل رجل وسيدة، ثم فتاتان، ولم يظهر «برجسكي». جاء الطعام، أخذَا يأكلان متمهلَين حتى يستغرقَا أطول فترة ممكنة، وإن كان «أحمد» قد بدأ يفقد الأمل في حضور «برجسكي»، فقد أصبحت الساعة الخامسة والنصف.

قال «عثمان»: يبدو أنه لن يأتي.

نظر له «أحمد» لحظة، ثم قال: يبدو هذا!

ولم يكَد ينتهي من كلماته حتى ظهر «برجسكي» في باب المطعم. ارتسمت ابتسامة على وجه «أحمد»، ولفت نظر «عثمان» الذي كان يضع ملعقة شوربة في فمه حتى إنه توقف، ونظر إلى الباب. ابتلع ملعقة الشوربة الساخنة، ثم قال: لا أصدق!

بدأ «أحمد» يقف حتى يستقبله، إلا أن «برجسكي» أخذ طريقًا آخر، فقد اتجه إلى الرجل الجالس بمفرده. علَت الدهشةُ وجهَيهما، وهمس «عثمان»: يبدو أن هناك مزيدًا من التفاصيل!

وقف الرجل الآخر يستقبل «برجسكي» بابتسامة عريضة.

فكر «أحمد» لحظة، ثم أخرج فراشة دقيقة، وضغط زرًّا فيها، وحدَّد اتجاهًا من خلال مؤشر بها، ثم أطلقها على الأرض.

كان الرجل الآخر يتحدث باهتمام إلى «برجسكي» الذي كان يستمع باهتمام أيضًا. مضَت نصف ساعة. ومع نهايتها وقف الرجلان، ثم اتجهَا إلى الخارج، واختفيَا. أخرج «أحمد» من جيبه جهازًا دقيقًا، ثم ضغط عليه، وهو يوجهه إلى نفس المنضدة التي كان يجلس إليها الرجلان. في لحظات كانت الفراشة في يد «أحمد»، أمسك بها، ثم وضعها في جيبه، وأشار للجرسون، فقدَّم له الفاتورة. دفع الحساب، ثم انصرفَا مسرعَين. عندما أصبحَا خارج المطعم، كانت سيارة «فورد» بيضاءَ تنطلق مسرعة. كان الرجل يجلس إلى عجلة القيادة، بينما كان «برجسكي» يجلس بجواره. وفي لمح البصر استطاع «عثمان» أن يلتقط رقم السيارة، وكان ٩٩٣٩٤٦.

اتجه الاثنان إلى السيارة، وانطلق «عثمان» إلى «الهوليداي إن هيوستن». وفي أقل من ربع ساعة كانَا يدخلان إلى حجرة «أحمد». كان الشياطين في الحجرة، أخرج «أحمد»

الفراشة بسرعة ثم وضعها أمام الشياطين، الذين التفوا حولها. ضغط زرًّا فيها، ثم بدءوا يسمعون، جاء صوت يقول: إن لدينا صفقة تحتاج إلى البيع. إنها خمسون طنًّا من الذهب، وهي موجودة في الهند، هناك مَن يتصارع عليها، لكنني أريد أن أبيعها لحسابي، سوف أتقاضى خمسة في المائة من ثمنها كعمولة، وأنا على استعداد لأن أعطيَك اثنين في المائة!

مرت لحظة صمت، ثم جاء صوت آخر يقول: اسمع يا سيد «بيرو». دعنا نتحدث بصراحة لماذا اخترتني بالذات، وهناك كثيرون يعملون في بيع الذهب؟

رد «بيرو» بسرعة: إنني أعرف أنك في حاجة إلى مبلغ من المال. أنا أعرف، ولا تحاول أن تُنكر ذلك، وأنت خبير في الذهب، وهذه فرصة لا بأس بها!

مرت لحظة صمت أخرى، ثم قال «برجسكي» وأين يوجد الذهب؟

قال «بيرو»: في «بومباي» في مخازن السيد «جي لال». إنك سوف تصل إلى هناك، سوف تنزل في فندق «بومباي». وبعد وصولك بساعة سوف يأتيك مَن يصحبك إلى السيد «جي لال» وعليك إتمام الصفقة.

صمت «بيرو»، ولم يُجِب «برجسكي». مرَّ وقت طويل، قبل أن يقول «برجسكي»: هذه مسألة تحتاج لبعض الوقت، حتى أتخذَ فيها قرارًا.

ردَّ «بيرو» بسرعة: لا تضيع فرصتنا، وفرصتي وفرصتك. إن أوقية الذهب سعرها الآن ٤٣٢ دولارًا، نحن سوف نشتريها بـ ٢٧٤، أي أننا سوف نكسب خمسة دولارات في الأوقية. هذا بجوار نسبة العمولة، إنني على استعداد لأعطيك دولارًا في كل أوقية، ما رأيك؟ إنك سوف تصبح ثريًّا في ضربة واحدة، وبعدها تستطيع أن تحقق أحلامك!

مرت دقائق، لم يردَّ فيها «برجسكي». ظل الشياطين يستمعون في اهتمام شديد، وكان رد «برجسكي» الأخير هو أهم ما يمكن أن يسمعوه. بعد قليل، قال «برجسكي»: موافق ومتي السفر؟

قال «بيرو» بسرعة: غدًا إن أردت. ما رأيك!

قال «برجسكي» بهدوء: إذن، موعدنا غدًا، إنني في انتظار تليفون، تُخبرني فيه بموعد الطائرة.

ارتفعت ضحكة قوية ثم انتهى الشريط، وقال أحمد بسرعة: الآن، قد اتضحت خطوتنا القادمة.

الصراع حول «صانع الذهب»!

كانت خطة الشياطين هي متابعة «برجسكي» إلى «بومباي»، لكن العقبة كانت موعد قيام الطائرة، وتذاكر سفر الشياطين عليها، فمن الممكن أن يسافر صباحًا، أو يسافر ظهرًا، أو بعد الظهر، كيف يمكن معرفة ذلك؟

قالت «إلهام»: أظن أن عميل رقم «صفر» يستطيع الوصول إلى ما نريد. إما عن طريق شركات الطيران، وإما عن طريق مراقبة تليفون «برجسكي» أو «بيرو»!

قال «أحمد»: هذه فكرة طيبة.

أسرع إلى التليفون وتحدث إلى عميل رقم «صفر» ونقل إليه ما يريدون.

سأل العميل: مَن هو «بيرو»؟

أجاب «أحمد»: ليست لدينا معلومات سوى رقم سيارته «الفورد» البيضاء!

قال العميل: هذا يكفي. أعطني إذن الرقم!

أعطاه «أحمد» رقم السيارة ثم وضع السماعة.

قال «بو عمير» إن عرض «بيرو» على «برجسكي» للسفر إلى «بومباي»، وإتمام صفقة الذهب يبدو عرضًا مشكوكًا فيه، وأظن أن هذه خطة لإخراج «صانع الذهب» من أمريكا، وخطفه هناك، وهذه مسألة سهلة فعندما يخرج من المطار، سوف تكون هناك سيارة تُقلُّه إلى الفندق مثلًا، وفي الطريق يمكن أن يتمَّ أيُّ شيء، يمكن خطفه مثلًا، وربما يكون «بيرو» أحد أفراد عصابة، أو يكون منضمًّا إلى تنظيم ما!

سكت الشياطين فقد كانت وجهة نظر «بو عمير» تبدو صحيحة، غير أن «أحمد» قال بعد لحظة: عندك حق. من الممكن أن يحدث هذا، لكن أظن أن «بيرو» معروف لـ «برجسكي»، وإلا ما قابله، واتفق معه.

سكت لحظة، ثم أضاف: المؤكد أن «برجسكي» يعرف هؤلاء الذين يتعاملون في الذهب لأن هذا تخصُّصه ويعرف «بيرو» من بينهم، وأعتقد أن «بيرو» يخشى شيئًا؛ لذا فقد قدَّم «برجسكي» ليتمم الصفقة بدلًا منه. ومع ذلك فمن يدري، قد تكون كل الاحتمالات صحيحة!

دق جرس التليفون، فرفع «أحمد» السماعة، واستمع لحظة، ثم قال: شكرًا لك! …

وضع السماعة بينما كانت أعين الشياطين تلتقي حوله في انتظار ما سيقول. مرت لحظة قبل أن يهمس: طائرة التاسعة صباحًا!

قال «رشيد»: أعتقد أنه من المهم أن نقوم بحراسة «برجسكي»، فنحن نعرف أن هناك سباقًا للحصول عليه، وقد يكون «بيرو» أحد جهات السباق، ومَن يدري، فقد يختفي الليلة، قبل أن يغادر «هيوستن»!

كانت وجهة نظر «رشيد» معقولة إلى حد أن الشياطين صمتوا تمامًا.

قال «أحمد» بعد لحظة: هذا صحيح. إن أي شيء من هذا يمكن أن يحدث.

قال «رشيد»: ولهذا يجب أن نأخذ حذرنا، حتى لا يضيع منَّا «برجسكي».

عرض كلٌّ من الشياطين وجهةَ نظره، واستقر الرأي في النهاية على أن يقوم «أحمد» و«قيس» بمراقبة بيت «برجسكي»، وفي أقل من خمس دقائق، كانت سيارة الشياطين تقطع الطريق إلى حيث شارع «١٠٠٨». وعندما خفض «قيس» سرعة السيارة، وهو يقترب من الشارع، همس «أحمد» فجأة: انظر، إن «برجسكي» يغادر بيته!

نظر «قيس» إلى بيت «برجسكي»، الذي كان يغادر بيته في سرعة تكاد تصل إلى حد الجري، تبعه «قيس» بالسيارة عن بعد. فجأة، ظهرت سيارة «بويك» خضراء، توقفت بجواره، فركبها، ثم انطلقت. أسرع «قيس» خلف السيارة الخضراء، وهمس «أحمد»: لقد كان «رشيد» محقًّا في وجهة نظره، إن السباق حول «برجسكي» شديد.

ظلت السيارة في طريقها، لكنها توقفت فجأة، وانحرفت في شارع جانبي، تبعها «قيس»، وعندما كانت تقف عند مبنى متوسط الارتفاع، كان «قيس» يقف عند بداية الشارع مراقبًا لها. في لحظة، فُتِحت السيارة، ثم نزل منها «برجسكي» واختفى داخل المبنى، لكنه لم يكَد يخطو خطوة واحدة داخله، حتى دوت طلقة لها صوت مكتوم. كانت الطلقة صادرة من السيارة نفسها التي أقلَّته، حتى إن «أحمد» قال في دهشة: هناك عميل مزدوج، فكيف تنقله السيارة، وكيف تُطلق النار عليه!

إلا أن السيارة التي أقلَّته كانت قد اختفت. أسرع «أحمد» جريًا إلى المبنى، وعندما دخله، كان «برجسكي» يرقد على الأرض. انحنى فوقه حتى يرى إصابته، ولحسن الحظ

كانت إصابته لا تُذكر، إلا أن «برجسكي» أُغميَ عليه نتيجة صدمة عصبية، أخرج «أحمد» زجاجة بها سائل خاص، ثم قرَّبها من أنف «برجسكي». كان السائل له رائحة نفاذة، جعلت «برجسكي» يُفيق بسرعة، وينظر إلى «أحمد» في حدة صارخًا: ماذا تريد؟

ابتسم «أحمد» وحاول أن يشرح له ما حدث، إلا أن «برجسكي» صرخ: أنت واحد منهم! ثم جرى إلى سُلَّم المبنى، وصعده جريًا. ابتسم «أحمد»، ثم غادر المبنى إلى حيث كان «قيس» قد اقترب بالسيارة. نظر إلى «أحمد» مستفهمًا، فابتسم «أحمد» قائلًا: لا بأس. سوف نعرف الآن!

أدار مؤشر جهاز الاستقبال في السيارة، حتى نقطة معينة، ثم بدأ يستمع. جاء صوت يقول: هل أنت مصاب؟!

قال «برجسكي»: نعم. كانت هناك محاولة للتخلص مني، لكنها لم تحقق نتيجة!

نظر «قيس» إلى «أحمد»، قائلًا: ماذا حدث؟

شرح له «أحمد» بسرعة ما حدث، ثم أضاف بعد لحظة: لقد وضعت في جيب جاكتة «برجسكي» أحد أجهزتنا، إنه منذ الآن تحت سيطرتنا، ما لم يخلع الجاكت.

بدأ الاثنان يستمعان للحوار الذي كان يدور بين «برجسكي» والآخرين.

صوت يقول: أعرف أن هناك جهات اتصلت بك!

برجسكي: لماذا؟

الصوت: لتدخل لعبة الذهب!

برجسكي: حتى الآن، لا أحد.

الصوت: أمامنا صفقة ضخمة، تحتاج إلى جهودك.

برجسكي: فلنتحدث!

لحظة صمت، ثم: مائتا طن من الذهب.

برجسكي: أين؟

الصوت: في «بومباي».

برجسكي: والمطلوب.

الصوت: أن تتم الصفقة.

برجسكي: والأتعاب؟

الصوت: نصف دولار عن الأوقية.

لحظة صمت، ثم يقول «برجسكي»: سآخذ دولارًا، ودون أن نضيع وقتًا، متى الرحيل؟

صوت ضحكة قوية ثم: أنت رجل عملي، اسمع، هناك طائرة خاصة جاهزة الآن للرحيل. حدِّد أنت الموعد!

برجسكي: الليلة، في العاشرة.

الصوت: اتفقنا. سوف يمر عليك أحد رجالي في التاسعة والنصف، لينقلك إلى مطار خاص، خارج «هيوستن».

توقف الحوار لحظة، ثم قال «برجسكي»: إنني في الانتظار!

وضح أن «برجسكي» قد تحرَّك من مكانه.

قال «أحمد» إنه لم يتحدث عن حادثة الاعتداء عليه!

رد «قيس»: إنه يعرف أن الحديث عنها لن يصل إلى نتيجة.

تركَّزَت عيونُهما على باب المبنى، كان «أحمد» يفكر: إن هذه مسألة غامضة تمامًا.

نظر إلى «قيس» وقال: هل يمكن أن يرحل «برجسكي» الليلة، وهناك اتفاق بينه وبين «بيرو» على نفس كمية الذهب، ومع نفس الرجل، وفي نفس المكان.

قطع كلامَ «أحمد» صوتُ الرجل يقول: سوف تجد في الطائرة كلَّ تفاصيل العملية والعنوان.

مرت دقائق، ثم ظهر «برجسكي» على الباب. فجأة، ظهرت السيارة الخضراء، إلا أن «قيس» قال: إنها ليست هي!

اقتربت السيارة من «برجسكي»، فأضاف «قيس»: إن الأرقام مختلفة! ... ركب «برجسكي»، فانطلقت السيارة، وخلفها كان «قيس» قد ضبط سرعته على نفس سرعتها. أخذت السيارة طريقها إلى خارج مدينة «هيوستن»، فقال «أحمد»: هناك لعبة ما! فكر قليلًا، ثم قال: يجب أن ننقذ «برجسكي»، فهو سوف ينتهي إلى الأبد، أو تتم عملية اختطافه!

قال «قيس»: إذن، ينبغي أن ينضمَّ إلينا بقية الشياطين.

قال «أحمد»: هذا ما سوف أفعله.

أرسل رسالة إلى الشياطين، يحدد لهم الاتجاه، ثم قال في النهاية: أنتم تستطيعون معرفة المكان عن طريق جهاز الاستقبال عندكم.

وفي لحظة، جاءه الرد: نحن في الطريق.

خرجت السيارة الخضراء إلى المزارع، لكن فجأة فُتِح باب السيارة، ثم سقط «برجسكي» على الأرض. كان «قيس» ينطلق الآن بسرعة أكبر، حتى إنه كاد يصدم «برجسكي»، في نفس اللحظة التي توقفت فيها السيارة الخضراء ونزل سائقها بسرعة،

كان يحمل مسدسًا، إلا أن «أحمد» كان أسرع منه، فقد أخرج مسدسه، وأطلق طلقة، أطارت المسدس من يد السائق. في نفس اللحظة التي كان «قيس» قد أسرع قفزًا إليه، إلا أن السائق كان من السرعة بحيث قفز إلى السيارة وانطلق بها، غير أن «قيس» كان قد لحق بها، وتعلَّق بمؤخرتها، ثم قفز فوقها.

بينما أسرع «أحمد» يجذب «برجسكي» إلى السيارة، وعندما أغلقها بطريقة خاصة، لا يستطيع معها «برجسكي» أن يغادرها، انطلق خلف السيارة الخضراء، التي كان سائقها يحاول أن يوقع «قيس» من فوقها. اقترب «أحمد» أكثر من السيارة، ثم ضغط زرًّا في التابلوه فأطلق شعاعًا خاصًّا، جعل السيارةَ الخضراءَ تتوقف فجأة، حتى إن «قيس» طار في الهواء من أثر الوقوف المفاجئ، لقد أثَّر الإشعاع على الموتور فأوقف عمله تمامًا. وفي لمح البصر كان «أحمد» قد قفز من السيارة، في نفس الوقت الذي كان سائق السيارة الخضراء قد قفز منها في محاولة للهرب، إلا أن «أحمد» طار في الهواء في قفزة واسعة، ثم ضربه بقدمه ضربةً جعلَته ينثني على نفسه، ثم يقع على الأرض وهو يصرخ من الألم.

نظر «أحمد» خلفه، فوجد «قيس» قد ركب سيارة الشياطين، واقترب بها. لكن فجأة، تغيَّر كلُّ شيء، كانت هناك مجموعة من السيارات تقترب، وتحاصر المكان. نظر «أحمد» حوله، ثم همس لـ «قيس»: إننا أمام معركة رهيبة! قال بعد لحظة: انزل ومعك «برجسكي» حتى نحتميَ بجسم السيارة، فالبقاء داخلها غير مضمون.

في لحظة كان «برجسكي» يتبع «قيس» في هدوء. نظر إلى «أحمد» وقال: إنني أعرف ماذا يدور.

قال «أحمد» مبتسمًا: وأنا أعرف أيضًا.

كان الغروب يقترب فهمس «قيس»: إننا نحتاج بعض الوقت، فالظلام سوف يفيد معركتنا.

فجأة وضع «أحمد» يده على جيبه، حيث جهاز الاستقبال، وابتسم؛ فقد عرف أن هذه رسالة من الشياطين. استقبل الرسالة، ثم همس: لقد تغير الموقف، إن الشياطين يحاصرونهم.

لمَعَت عينَا «قيس» في نفس اللحظة التي قال فيها «برجسكي»: أقترح تسليمي لهم، حتى تخرجَا من هذا الموقف المحرج!

قال «أحمد»: مهمتنا إنقاذك فنحن نعرف قيمتك العلمية.

ضحك «برجسكي»، ثم قال: إنقاذي لتسليمي لمن؟

تردَّد صوت في الفضاء: يجب أن تستسلموا حتى لا نضطرَّ للقضاء عليكم!

قال «أحمد»: أنت لا تعرفنا يا سيد «برجسكي»، لكننا نعرف كل شيء عنك وعن السيد «شولوف».

ظهرت الدهشة على وجه «برجسكي»، ثم ظهر الفزع على وجهه أيضًا، وهمس: ماذا تريدان إذن؟

قال «أحمد»: نريد أن نعطيَك الفرصة لتُكملَ أبحاثك في أمان.

نظر «برجسكي» إليهما بشك، ولم ينطق ... بينما تردد الصوت من جديد: يجب أن يكون هناك اتفاق بيننا، فـ «برجسكي» ملكنا جميعًا.

لم يكَد ينتهي الصوت، حتى كانت طلقات الرصاص تنزل كالمطر فوق السيارات التي تحاصر «أحمد» و«قيس»، فقد بدأ الشياطين هجومهم.

الحقيقة التي أخفاها الشياطين!

توقَّف إطلاق النار عند السيارات، واختفى الرجال أسفلها. في نفس الوقت كان «أحمد» يفكر في طريقة لتطويقهم، فمن الواضح أنهم أكثر عددًا، بل إنهم يمكن أن يستدعوا آخرين. أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين يطلب منهم وقْفَ إطلاق النار. مرَّت دقائق صامتة تمامًا. فجأة تردد الصوت من جديد: يجب أن نتفق أن «برجسكي» ملكنا جميعًا، بدلًا من الصراع الذي يمكن أن نخسر فيه أنفسنا أو رجالنا، فيجب أن نتفق.

فكر «أحمد» قليلًا، ثم تحدث إلى «قيس» بلغة الشياطين: أفكر في أن تتفق معهم، ثم تكون لنا معركتنا الأخيرة.

رد «قيس»: إنها مغامرة!

قال «أحمد»: لا أريد أن يستمر حديث المسدسات؛ فحديث الأيدي أكثر هدوءًا.

ابتسم «قيس» وقال: هذه لغة طيبة؛ إن حديث المسدسات له ضجيج مرتفع.

مرَّت لحظة، جاءت فيها رسالة من الشياطين: ما هي خطوتنا القادمة؟

ردَّ «أحمد»: سوف نتفق معهم، تقدموا عند الإشارة بالسرعة «م».

فجأة، قال «أحمد»: إذن نتفق.

رد الصوت: وما هي الإشارة؟

قال «أحمد»: يخرج واحد منكم وواحد منَّا بلا مسدسات ويتم الاتفاق.

مرت لحظة صمت قبل أن يقول الصوت: هذا حسن أن يكون اتفاقًا وليس خدعة!

قال «أحمد»: ونحن أيضًا.

رد الصوت: سوف نعدُّ ثلاثة، ثم يتقدم المندوبان.

رد «أحمد»: موافقون.

بدأ الصوت يعدُّ: واحد، اثنان، ثلاثة.

قال «أحمد»: تقدَّم يا «قيس» عشر خطوات فقط.

ثم صاح: عشر خطوات فقط.

تحرك «قيس» بينما كان «أحمد» يتابع خطوات «قيس»، وهو يحسب لكل خطوة حسابها، لقد قَدَّر أنهم سوف لا يُطلقون النار؛ لأنهم يريدون «برجسكي»، لكنه فكر في نفس الوقت أنهم قد يبدءون هجومًا غير متوقع، وقد يستدعون آخرين، لكنه مع ذلك لم يتراجع؛ فالمغامرة لا بد أن تتم. كان «قيس» قد تقدَّم خمس خطوات. في نفس الوقت كان الآخر قد تقدَّم نفس الخطوات أيضًا، وكان الاثنان يبدوان كشبحَين في الليل. وعندما انتهت الخطوات العشر، كان الاثنان لا يزالان بعيدَين. جاء الصوت: عشر خطوات أخرى!

رد «أحمد»: لا بأس.

بدأت الخطوات من جديد. فجأة دوت طلقة نارية، ثم سقط الرجل، وبعده مباشرة سقط «قيس». صرخ الصوت: إننا لم نتفق، لقد قمتم بخدعة.

صمت «أحمد» قليلًا، لقد عرف أن الطلق الناري لم يصدر عنهم كما لم يصدر عن الشياطين.

قال في نفسه: هل أصاب الطلقُ الناري «قيس»!

قال الصوت: لماذا لا تردُّون؟

فكر «أحمد» بسرعة: هل يقول لهم إن هناك جانبًا ثالثًا قد دخل المعركة فجأة.

رد: إن الطلق الناري ليس من عندنا.

رد الصوت: مَن الذي أطلقه إذا كنَّا لم نُطلقه.

فكَّر مرة أخرى: إننا يمكن أن نشهد معركة جيدة، ثم نتدخل في النهاية، أو ... نتركها مستمرة ونرحل.

قال بصوت مرتفع: انظروا في اتجاه الغرب جيدًا.

سدَّد مسدسه عند نقطة معينة، ثم أطلق خمس طلقات متتالية، وانبطح أرضًا. فجأة انهالت عليه الطلقات من جهة الغرب كما حدد. قال الصوت: هناك جديد في المكان!

فجأة سمع «أحمد» مَن يقترب. ومن خلال دقات معروفة للشياطين عرف أنه «قيس».

سأله بسرعة: ماذا حدث؟

قال «قيس»: لقد سقط الرجل. ولو لم ينبطح أرضًا لكنتُ قد سقطت أنا الآخر.

ابتسم «أحمد» وقال: لقد فكرت في هذا فعلًا عندما سقطتما معًا.

سكت لحظة ... ثم همس: يجب أن ننسحب بعيدًا عن مكاننا؛ فثمة هجوم مسلَّح سوف يقع الآن.

أمسك بيد «برجسكي»، ثم انسحبوا بعيدًا، في نفس اللحظة التي بدأ فيها فعلًا كما توقَّع «أحمد» هجوم الطلقات. أرسل رسالة إلى الشياطين يطلب منهم الانضمام إلى النقطة «ك».

وعندما وصلوا، ظلوا جميعًا يرقبون المعركة النيرانية العنيفة بين الطرفين، لكن شيئًا فشيئًا بدأت المعركة تهدأ، حتى توقَّفت تمامًا في الطرف الغربي ... فقد انهزم.

فجأة، قال صوت مرتفع: والآن، فلنبدأ اتفاقنا، فليتقدم مندوبكم عشر خطوات، ثم عشر أخرى بعد نصف دقيقة.

رد «أحمد» موافقون.

أشار لـ «قيس» أن يتحرك بسرعة حتى يختصر المسافة التي انسحبوا إليها. وفي نفس اللحظة كان الشياطين يتحركون في اتجاه «قيس» حتى يكونوا على مقربة منه. انتهت الخطوات العشر الأولى فتوقف «قيس». كان «أحمد» يرقبه وهو يظهر كالشبح، لكنه يعرف خطوته وطريقة مشيته. نصف دقيقة ثم تحرك «قيس» عشر خطوات أخرى، حتى إذا انتهت أصبح بينه وبين الرجل الآخر خمس خطوات. بدأ الرجل الكلام، قال: هل تبيعون «برجسكي»؟!

ابتسم «أحمد» الذي كان يستمع للحديث عن بُعد؛ فقد كان «قيس» يحمل جهازَ إرسال مفتوح، فيرسل ما يتردد إلى جهاز الاستقبال الذي يحمله «أحمد» فيسمع كل ما يدور.

قال «قيس»: لا أظن أننا نبيعه.

الرجل: هل نشترك فيه؟

قيس: هذا أقرب إلى العقل.

الرجل: وماذا تقترحون حتى نبدأ اتفاق الشركة؟

مضَت لحظةُ صمت، ثم قال «قيس»: أعود إلى الزعيم ثم نجتمع مرة أخرى.

فردَّ الرجل: موافق.

انسحب «قيس» في نفس الوقت الذي انسحب الرجل فيه أيضًا.

وعندما انضم إلى الشياطين قال «أحمد»: لا بد أن نضرب ضربتنا هذه المرة، سوف نتفق على الشركة فقط. استغرق بعض الوقت، ونحن سوف ندور حولهم، بينما أنت تحاوره في الشركة حول «برجسكي»، وعندما تصلك الإشارة، عليك أن تقضيَ عليه، وسوف يتم ذلك في لحظة واحدة. ظل الشياطين في مكانهم، بينما كان «برجسكي» ينظر إليهم

دون أن يفهم شيئًا؛ لأنهم كانوا يتحدثون بلغتهم التي لا يعرفها أحد غيرهم. فجأة جاء الصوت: هل أنت مستعد؟

رد «أحمد»: نعم، إنه سوف يبدأ، سوف أعدُّ ثلاثة، ثم يبدأ التحرك.

عدَّ «أحمد»: واحد، اثنان، ثلاثة.

بدأ «قيس» يتحرك في نفس اللحظة التي بدأ الشياطين فيها تحرُّكَهم؛ فقد كانت الحشائش التي تغطي المكان كافية لتخفيهم جيدًا. في نفس الوقت كان «أحمد» منصتًا لجهاز الاستقبال حتى يسمع الحوار الذي يدور. كان الشياطين قد تحركوا في شكل نصف دائرة تنتهي عند المجموعة الأخرى. وعندما بدأ الحوار، كان الشياطين قد قطعوا نصف المساقة تقريبًا.

قال الرجل: هل اتفقتم؟

قيس: نعم.

الرجل: قدم الاتفاق.

قيس: هل أعددتم أنتم اتفاقًا أيضًا؟

الرجل: نعم. فقط أن تعرضوا اتفاقكم أولًا.

قيس: من حقنا أن نعرف اتفاقكم أنتم في البداية، فـ «برجسكي» تحت أيدينا.

صمت الرجل قليلًا مفكرًا، في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يبتسم؛ لأنه يعرف أن «قيس» يكسب الوقت. قال الرجل أخيرًا: إننا نقترح أن نُقيم شركة بيننا وبينكم مناصفةً، ونشرف معًا على أبحاث «برجسكي» في اختراع الذهب.

قيس: هذا الاتفاق في صالحكم، وليس في صالحنا، فـ «برجسكي» معنا، وهذا يعني أننا أصحاب الكفة الأرجح. إنكم سوف يكون لكم عشرون في المائة فقط، ونحن لنا ثمانون في المائة!

الرجل: هذا يجعلنا نعود للصراع مرة أخرى!

سكت «قيس» لحظة، ثم قال: هل تستشير زعيمكم؟

الرجل: إنني الزعيم.

أخفى «قيس» ابتسامة، وقال: إذن أيها الزعيم، إن عشرين في المائة يمكن أن نرفعها إلى الربع، أعني خمسة وعشرين في المائة ... ماذا قلت؟

سكت الزعيم قليلًا، وعندما بدأ يتحدث، كانت الإشارة قد وصلت إلى «قيس». وفي لمح البصر كان قد قفز إلى الزعيم، ووجَّه له لكمة شديدة أطارَته في الهواء. وقبل أن يتمالك نفسه، كان «قيس» يتابعه بلكمات متوالية. في نفس الوقت كان الشياطين قد بدءوا

معركتهم، طاروا دفعة واحدة، ونزلوا فوق المجموعة التي كانت تجلس فوق السيارات في انتظار انتهاء حديث «قيس».

ضرب «أحمد» اثنين معًا بقدمَيه، فانطرحَا على الأرض. في الوقت الذي سدَّد فيه «عثمان» ضربة إلى أقرب رجل إليه، فسقط على الأرض. بينما كانت «إلهام» تضرب رجلًا آخر، حتى إنه نظر إليها مذهولًا، ضربَته بقدمها، فسقط يتلوَّى على الأرض، وعندما اعتدلت شاهدت أحدهم يسدد لكمة قوية إلى «رشيد» فطارت في الهواء، وتعلقت بذراعه، فسدَّد «رشيد» اللكمة إلى الرجل، فترنح وسقط، بينما كان «بو عمير» قد اشتبك مع اثنين معًا، كان يدور في الهواء، وهو يضرب الأول، ثم الثاني في سرعة مذهلة. أما «خالد» فكان يطارد أحدهم، بعد أن أسرع بالفرار، طار في الهواء، ثم سقط فوقه، فأوقعه على الأرض، جذبه في عنف، وسدَّد له ضربة جعلت الرجل يصرخ، إلا أن آخر كان قد نزل بـ «كعب» مسدسه فوق رأس «خالد» الذي أحس بعنف الضربة، غير أن «أحمد» كان قد قفز خلف الرجل، وعاجله بضربة، جعلَته يدور حول نفسه، ثم أسرع إلى «خالد»، الذي كان لا يزال يهزُّ رأسه تخفيفًا للألم، وقال: خذ حذرك.

كان أحدهم قد طار في الهواء، وهو يوجِّه ضربة إلى «أحمد»، إلا أن تحذير «خالد» جاء في الوقت المناسب؛ فقد أمسك «أحمد» بقدَم الرجل بين يديه في سرعة مذهلة، جعلت الرجل يسقط مغشيًّا عليه، استدار «أحمد» عائدًا إلى المعركة إلا أنه وجدها تكاد تنتهي.

كانت «إلهام» ترفع أحدهم في الهواء في حركة بارعة، ثم تتلقاه بين ذراعَيها ثم ترمي به إلى الأرض. في نفس الوقت الذي وقف فيه «رشيد» وهو ينظر نظرة حادة بعد أن فرغ من ضرب آخر ... في نفس اللحظة كان «قيس» يقترب وهو يسوق أمامه زعيمهم. نظر «أحمد» إليه مبتسمًا، إلا أن الدهشة ملأت وجهه، لقد اختفى «برجسكي». في سرعة كانت عيناه كعينَي صقر ترقب الأفق من جميع الاتجاهات، ثم ظهرت على وجهه ابتسامة؛ فقد رأى «برجسكي» يجري بعيدًا كخيال وسط النباتات. وفي سرعة البرق كان يقطع المسافة في خفة حتى أصبح بينه وبين «برجسكي» خطوات، فقفز في الهواء، وسقط فوقه. وعندما كانَا معًا على الأرض، قال له مبتسمًا: إلى أين أيها السيد «برجسكي» أنت هدية ثمينة، نريد أن نُلقِّنها، ونُلقِّن الآخرين درسًا!

نظر له «برجسكي» مبتسمًا في تردد وهو يقول بصوت مرتجف: كنت أخشى، أن أُصابَ في المعركة!

ابتسم «أحمد» وقال: أيمكن أن تُصاب وأنت معنا؟

جذبه من ذراعه، إلا أن «برجسكي»، كان قويًّا، فقد جذب «أحمد»، وفي رشاقة كان ينثني كثعبان، ثم يقفز فوق «أحمد» الذي كان مستعدًّا له، فقد تراجع بسرعة، جعلت «برجسكي» ينزل على الأرض مهتزًّا.

قال «أحمد»: كنت أظن أنك بارع في الخداع فقط، لكنك بارع أيضًا في الصراع.

وقبل أن يستعد «برجسكي»، كان «أحمد» قد سدد له ضربة، جعلته يترنح. وفي خفة كان قد أمسك به، وهو يقول: من الصعب أن تخدعنا.

ساق «برجسكي» أمامه، إلى حيث كان الشياطين ينتظرون. وعندما أصبح بينهم قال: أنت مخادع عظيم، ونحن نعرف ذلك من البداية، لقد خدعت الجميع، على أنك قد توصلت إلى تركيب عناصر للذهب، وأنت في الحقيقة لم تَصِل إلى شيء.

وأستاذك «شولوف» انتهى بتأثير السم البطيء الذي وضعتَه له. أما ذهب «جي لال»، فهو خدعة أخرى، كنت ستقوم بها لتخدع تاجر الذهب العربي، الذي كان ينتظرك على شاطئ بحر العرب بعد ثلاثة أيام.

كان «برجسكي» ينظر إلى «أحمد» مذهولًا مما يسمع؛ فلم يكن يتصور أن هذه المعلومات يمكن أن تكون عنده، بينما كان الشياطين يبتسمون في هدوء لأنهم كانوا يعرفون ذلك كله، وقد تركوا الإشاعات تتردد في العالم وبين العصابات حتى يقبضوا على المخادع الأول «برجسكي».

دفعَه «أحمد» إلى سيارة الشياطين، ثم أرسل رسالة إلى رقم «صفر»، يقول: «برجسكي» بين أيدينا!

وجاءه الرد: سلِّموه للشرطة الدولية، واستمتعوا بإجازة طيبة.

وعندما انطلقت السيارة عائدة إلى «هيوستن» كان معظم الليل قد انقضى، فسارت السيارة في هدوء، فقد انتهت المغامرة، ووقع «صانع الذهب».

هنـــداوي